الفارسيّ ومذهبهُ اللغويّ

في الشيرازيات

الدكتور علي جابر المنصوري
المدرس في كلية الامام الاعظم

١ ـ نبذة عن حياته :

الفارسي هــو الحسن بن أحمــد بن عبدالغفار بن سليمان بن أبان أبو علي النحوي .

ولد في الغالب عام (٢٨٨هـ/٨٤٣م) من أب فارسي وأم سدوسية من سدوس بني شيبان من ربيعة الفرس في مدينة (فسا) من بلاد فارس ، ونشأ فيها ، ونسب اليها وعرف بها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكث في موطنه الأصلي تسعة عشر عاما ، ثم انتقل الى بغــداد عام (٣٠٧هـ) لطلب العلم .

وفي العراق تتضح حياته وتتوجه اليه الانظار ، ويطوف أرجاء البلاد يكتب ويؤلف ويحاضر فكانت له مؤلفات قرنت بأسماء قسم من المدن التي حل فيها كالبصريات التي الفها في البصرة ، والهيتيات التي الفها في (هيت) .

وانتقل شيخنا الى الموصل وفيهــا التقى بتلميذه ابن جني حيث بقي زمنا ثم توجه الى حلب ، والتحق ببلاط الامير سيف الدولة الحمداني فاكرم وفادته . وطاف في بلاد الشام ، فمضى الى طرابلس ، وزار المعرة واتصل برجالها ، وأهل العلم فيها ، وأقام بحلب فظفرت منه بالمسائل الحلبية . ولكن المقام لم يطب للفارسي هناك ، فغادر غير مغاضب بلاط سيف الدولة

على أثر منافسة(١) بينه وبين ابن خالويه •

ولقد رجع الفارسي بعد ذلك الصراع الذي دار بينه وبين ابن خالويه الى بغداد ثانية سنة (٣٤٦هـ) ، واستمر مستوطنها حتى سنة (٣٤٨هـ) ، ثم غادرها الى بلاد فارس ، وصحب عضدالدولة البويهي ، وصنف له كتابي الايضاح والتكملة ، وعلمه النحو حتى قال : « أنا غلام أبي علي في النحو »(٢) •

ويلقى أبو علي حظوة في بلاد فارس غير أن بغداد تجذبه اليها بما فيها من مغريات علمية ومنافسات بين علمائها وأدبائها فيعود اليها سنة (٣٦٨هـ) ويتخذها موطنا له حتى وفاته سنة (٣٧٧هـ) •

٢ ـ مذهبه في الفقه :

للفارسي مذهب متكامل في دراساته اللغوية يتمثل في الصلة بين الاصوات وبين القضايا اللغوية والنحوية والصرفية ، والصلة بين العروض واللغة ، والوجوه التي يقلب فيها القضية الواحدة بحيث يحملها الامكانات التي يمكن أن تصير اليها •

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ونحن هنا نود أن نبين أهم الجوانب الثلاثة وهو :

(الصلة بين الاصوات وبين القضايا اللغوية والنحوية والصرفية) •
ونقصد هنا بالاصوات ، الالفاظ التي استعملها الفارسي لتدل على مشكلة من مشكلات اللغة ، وما يطرأ لها مثل (غاق) الذي هو صوت لطير ، و (الشيب) الذي هو حكاية مشافر الابل ، و (الماء) الذي هو صوت للشاة الى غير ذلك •

وكذلك ما يطرأ على الكلمة الواحدة ، وما يعرض لها في أولها ، ووسطها ، وآخرها • واتصالها بغيرها •

---

(١) انظر الحلبيات ٣٣ب •

(٢) النجوم الزاهرة ٤/١٥ •

ونحن هنا لا نريد أن نطرق موضوع الاعلال (الذي يحصل لحروف العلة) ، أو الابدال (الذي يحصل لغير حروف العلة) من الناحية الصرفية ، انما نريد أن نشير الى التغيير الصوتي الذي يحصل للكلمات من بناء ، وسكون ، وامالة ، وادغام الى غير ذلك مما يتعلق بموسيقى الحروف والالفاظ والعبارات •

وفيما يأتي بيان ذلك :

١ ـ أصوات الالفاظ :

يعرض لنا الفارسي جانبا جديدا من الجوانب التي أهملها الكثيرون من اللغويين ، وهو امكان استعمال هذه الالفاظ الصوتية أسماء في الوقت الذي كان يعتقد فيه الكثير منهم أنها قوالب جامدة متخلفة عن ركب تطور الكلمات العربية ، ووجد لها نظائر مستعملة في اللغة كأسماء ، كما أنه أشار الى امكان اعراب هذه الكلمات كأسماء متمكنة • وقد تدخل عليها أداة التعريف (الالف واللام) • وقد بين لنا الكثير منها أثناء حديثه عن بناء بعض الكلمات اذا انتظمت مع غيرها فقال :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

« ••• ان الاصوات في هذا النحو الاكثر فيه الاعراب ••• ولو جعلت شيئا منه فاعلا أو مفعولا ، لاعربت فكذلك هذه الاصوات تكون في ذلك كحروف الهجاء ، وأسماء الاعداد ، وقد أعربوا أسماء هذا النحو من الاصوات حيث أوقعت موقع المعربة كقول الراعي :

فلما دعت شيبا بجنبي عنيزة
مشافرها في ماء مزن وباقل

وكذلك قول ذي الرمة :

تنادين باسم الشيب في متهدم
جوانبه من بصرة وسلام

وكذلك قوله :

. . . .

داع يناديه باسم الماء مبغوم

وكذلك قول راجز صاحب شاء :

يدعونني بالماء ماء أسودا

وقال بعض الرجاز :

تدعو الاشاخيب هشاما تهشمه »(٣)

٢ ــ ما تتعرض له اللفظة الواحدة من التغير الصوتي وهذا يتخذ أنماطا متعددة .

أ ــ ما يطرأ على أولها . وما يقتضيه النطق بها اذ ان الكلمة العربية لا يمكن أن تنطق ساكنة من أجل ذلك سلكوا ما يأتي للوصول الى النطق بها مراعاة لموسيقاها ، وتخلصا من الثقل الذي يصادفها .

١ ــ اجتلاب همزة وصل قبل الساكن وقد أشار الفارسي الى ذلك مستعينا بقول الخليل « قال : ... لو لفظت بالدال من قد ، والباء من اضرب ؛ لقلت آب ، آد فاجتلبت همزة الوصل كما اجتلبوها في اذهب ، واقتل واضرب .. »(٤) .

٢ ــ حذف حرف المد لما يصير اليه من الاسكان في حال صياغة مصدر من فعل المثال واستعان بذلك فيما « ... قال أبو عثمان : لو لم تحذف الواو من (عدة) ؛ للزم أن تسكنها للأعلال ، ولو اسكنتها ؛ للزمك أن تجتلب لها همزة وصل ، ولم نجد في كلامهم حرفا يقلب الابتداء

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(٣) الشيرازيات ٣٨/١٥١ب .

(٤) الشيرازيات ٤٠/١٥٦ب ، والكتاب ٢/٦٢ ، وسر الصناعة ١/٧ .

به ... »(٥) .

واذا حللنا قول أبي عثمان ـ في حال اجتلاب همزة الوصل وابقاء الواو في مكانها ـ وجدنا الواو ساكنة تلتقي مع حرف ساكن بعدها ، وهذا مما لم نره في الالفاظ العربية . ولذلك فهم لم يخففوا الهمزة « مبتدأة لان تخفيفها تقريب من الساكن ، فاذا رفضوا ما هو تقريب من الساكن في الابتداء ، فان يرفضوا الساكن نفسه أجدر .. »(٦) .

وهذه الظاهرة تتعلق بموسيقى الكلمة الى حد بعيد من حيث عذوبة انسجامها وجريها على السنة الناطقين بها .

ب ـ ما يطرأ للفظة في داخل بنيتها وذلك فيما يأتي :

١ ـ الاسكان في حرفين متجاورين ، والهمز ، والقلب من اجل النطق المنسجم مع النغم اللغوي .

قلنا : ان الساكن في أول الكلمة ، اسقطته العربية من حسابها ، وهي كذلك ترفضه الفاظها بين حروفها (اذا كان في حرفين متجاورين) ومن أجل ذلك يعلل قراءة عمرو بن عبيد ـ على شذوذها وندرتها ـ فيقول : « ... قال محمد بن يزيد : حدثني أبو عثمان المازني عن أبي زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جأن) فهمز لانه حرك الالف لالتقاء الساكنين فصارت همزة ، قال أبو زيد : فظننته لحن حتى سمعت العرب تقول : دأبة وشأبة ... »(٧) .

٢ ـ ومما يؤثر على صوت الكلمة وتقليب حروفها (المعتلة وغيرها) :

أ ـ القرب والبعد من الطرف (بالنسبة للمعتلة) :

---

(٥) الشيرازيات ٤٠/١٥٦ب ، والمنصف ١/١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٦) الشيرازيات ٣٨/١٥٦ب .

(٧) الشيرازيات ٤٠/١٥٤ب ، والمنصف ١/٢٨١ وسر الصناعة ١/٨٣ .

ومعنى ذلك أن هذه الحروف كلما كان موضعها قريبا من البداية ؛ صحت ، واذا كانت في أواخر الكلمات أو اذا كانت من الحروف التي في النهاية ، أو ما قبلها ؛ طرأ عليها التغيير من ذلك قوله عن (أوتاه) « ... ان اللام واو وان حرف العلة صح لمجيء الكلمة على التأنيث ... ولولا البناء على التأنيث ؛ لانقلبت اللام اما ياء ، واما الفا الا أن الكلمة لما كانت مبنية على التأنيث فلم تقع اللام طرفا ، صحت وادغم فيها ما قبلها ... »(٨) .

ولنفس السبب علل الفارسي قلب الهمزة في (أول) وعدم قلبها في (طواويس) قال : « ... الواو التي هي عين في (اول) لما وقعت على الصورة التي ذكرت استمر فيها القلب وابدال الهمز ، ولو بعدت من الطرف ؛ لصحت ولم تقلب كما قالوا : طواويس ... فلم يعلوا لما بعدت من الطرف ... »(٩) .

ان هذه الظاهرة المتدرجة من عدم القلب في الاول الى القلب ـ أحيانا ـ في الوسط الى القلب في الآخر بشكل عام ، تساير الاصوات الموسيقية لانماط التعبير وقد فسرها الفارسي في أقسام الاخبار قائلا « ... وسبيل الاول أن يكون على اللسان أخف من الثاني من قبل أن اللسان على الاول انشط ، وعلى النطق به أقدر والثاني يتعرض لانتهاء اللسان اليه عند التعب والكلال .. »(١٠) .

ب ـ الابدال كراهة التضعيف :

وهذه الظاهرة واضحة في مسائل الشيخ تشغل الكثير من تعليلاته وعليها فسر الابدال في كلمة (العنوان) وحمل فيها أحد الاحتمالين على هذا الذي رآه من الثقل في النطق الصوتي من تجانس حرفين متجاورين

---

(٨) الشيرازيات ٣٤/١٤١ب ، والحلبيات ٨٠أ و ٨٢ب .

(٩) الشيرازيات ١/٣أ ، والكتاب ٢/٣١٨ ، والمنصف ١/٣١٥ .

(١٠) أقسام الاخبار ٦أ .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قائلا : « ... واما عنيته فيحتمل ضربين أحدهما أن يكون فعلته من عن الا أن اللام ابدلت ياء لكراهة التضعيف ... »(١١) .

ح ـ كراهة اجتماع المثل والمقارب من الحروف :

قال في أثناء حديثه عن (تيهورة) لما حصل فيها من القلب المكاني « ... فان تيهورة عندي (يفعولة) في الاصل ، والذي عليه الآن (عيفولة) الا أن العين لما وقعت موضع الفاء ، وقلبت اليها كراهة لوقوعها مضمومة بين مثل ومقارب وما كان يلزم من القلب والادغام وامتناع الحذف المطرد في العين ... »(١٢) .

ومعنى ذلك أن (الواو) من (هور) وهي عين الفعل لما جاورت (واوا) مثلها وسبقت بالهاء صارت (هوور) فثقلت على النطق فنقلوها الى موضع الفاء فصارت (وهور) ثم قلبت الفاء الى تاء فصارت (تهور) وبعد ذلك ضمت لها (ياء) لصيغة الميزان فصارت (تيهور) ثم انثت بعلامة التأنيث .

ومن هنا يدرك الدارس هذا النقل ، وتلك الانقلابات في الحروف من أجل ان تسهل اللفظة على النطق وتنسجم لنغمات حروفها الموسيقية بحيث تتآلف اذا تباعدت مخارجها .

٣ ـ ما يطرأ للكلمة في آخرها من تغير صوتي في الوقف وعلاقته بتعليلات الفارسي اللغوية والنحوية والصرفية .

وقد تلحق الكلمة عند الوقف عليها ظواهر متعددة لخصها الفارسي بقوله : « والحرف الموقوف عليه يلحقه ضروب لا يلحق في الادراج كنحو ابدالهم من تاء التأنيث الهاء ، ونحو ابدال قوم من الالف الياء والواو نحو

---

(١١) الشيرازيات ١٠/٣٦ب .

(١٢) الشيرازيات ٤١/١٥٧أ .

(١٣) الشيرازيات ١٥٥ب .

افعي وافعو ، ونحو ابدالهم الالف من التنوين وتشديد (فرج) وحذفهم الياءات والواوات في نحو (والليل اذا يسر) ••• »(١٣) •

والذي يعنينا من هذا القلب الظواهر التي تنتج عنه ، والنغم الذي يتطلبه الوقف ، وقد استغل الفارسي قسما من هذه الظواهر ، وفسر بعضها ببعض فتارة يرد الاعراب – في نظر قوم – بالصوت ، وتارة أخرى يفسر الاعراب بالصوت ، وتارة ثالثة يقف عند حدود نهاية الصوت من أجل الصوت لا غير • وسنفسر قسما من ضروب الوقف (على الالف ، والياء ، والحرف الصحيح) •

أ – الوقف على الالف :

فقد رد الفارسي بظاهرة القلب عند الوقف على من كان يرى انقلاب الالف في (كلا) دلالة على أنها للتثنية ورأى أنها ظاهرة صوتية بدليل أنها تصير اليها بعض الالفات في غيرها من الكلمات كما في (افعى) و (افعو) و (حبلى) ومن ذلك « ••• كسرت رحى ••• وهذه رحى وبرحي ••• »(١٤) •

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد يعلل الفارسي أحيانا الظاهرة الاعرابية بالصوتية كقلب الالف الى الهمزة فيستعين بما رواه محمد بن يزيد في قوله : « ••• سألت أبا عثمان عن قول سيبويه من العرب من يقول : رأيت رجلأ فهمز الالف • ما دعاهم الى ذلك ؟ • فقال : من قبل أن الالف تهوي في الفم فآخرها عند أول الهمزة ، فلما كانت تنقطع عند الهمزة ؛ جيىء بالهمزة مكانها ••• »(١٥) •

ب – الوقف على الياء :

اختلف في الوقف على ما في آخره ياء فتارة يحذفون صوت المد وهو

---

(١٤) الشيرازيات ٢٩/١١٢ب • الاصل في هذه الكلمات الياء وهذه مرحلة متقدمة من التطور •

(١٥) الشيرازيات ٤٠/١٥٦أ والكتاب ٢/٢٨٥ •

الياء الذي ينتهي بالسكون ، وتارة ثانية يقطعون هذا الصوت ويقفون على ما قبله ، اما بكسرة قليلة المد ، واما بسكون مقطوع عن الحركة ، وتارة ثالثة يردون الياء الى الاصل ، ويقفون عليها بالسكون . قال أبو علي : « ... اما القاضي والغازي ... فليس يخلو من أن يكون فيه الالف واللام ، وان لا يكونا فيه فاذا لم يكونا فيه ؟ لحق الاسم التنوين ، وحذفت الياء لالتقائها ساكنة مع التنوين الساكن ... فاذا وقف ؛ قال : هذا قاض ، ومررت بقاض ... وحكى سيبويه ... ان ناسا من العرب يقولون : هذا قاضي ، اذا وقفوا ، فردوا في الوقف الياء ... »(١٦) .

ح ـ الوقف على الحرف الصحيح :

وله أوضاع منها قلب التاء هاء ، ومنها تشديد الحرف ، ومنها التسكين وكل هذه الظواهر تربط ـ في الاعم الاغلب ـ بين الناحيتين الصوتية والاعرابية وذلك مراعاة لموسيقى اللغة وجمالها .

٤ ـ ما يطرأ للكلمات في حال الوصل اذا ضمت احداها الى الاخرى ويمكن أن نمثل له بناحيتين :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أولا : الادغام(١٧) ـ بعد قلب الهمزة ـ لجعل الكلمتين تركيبا واحدا في النطق في حال الوصل وهذا قليل في العربية وهو يعني معاملة المنفصل كمعاملة المتصل ، قال الفارسي : « الا ترى أن سوة قليل وكذلك أبو يوب ، وهذا الابدال في قولهم : أبو يوب كقولهم : أونت اذا أرادوا : أو أنت .. ؟ »(١٨) .

وهذا يعني ان الهمزة قلبت واوا ، ثم ادغمت مع الواو التي قبلها وهذا

---

(١٦) الشيرازيات ٦/١٢٨أ ، والكتاب ٢/٢٨٨ .

(١٧) البغداديات ١٤ب ـ ١٦أ (مسألة في الادغام) .

(١٨) الشيرازيات ١/٢ب ، والكتاب ١/٢٠٠ و ٢/١٦٦ ، والحلبيات ٨٢ب .

المجال على قلته يعطينا تفسيرا صوتيا لهذه اللغة ، ذلك أن الهمز ثقيل ، ولكنهم لم يستطيعوا التخلص منه في بداية الكلمات لما تصير اليه أوائلها من السكون ، وقد حاولوا الخلاص منه في ثناياها ، وتخلصوا منه في أواخرها ـ في الادراج ـ بالقلب الى الواو كما في (مقرو) . هذا في كلمة واحدة فكيف اذا كان بين كلمتين قد ركبتا فطال التركيب بهما ؟ .

من الواضح أنهم حاولوا التخلص منه بالتخفيف وافضل شيء لتخفيف الهمز قلبه واوا ثم ادغامه لتصير الكلمتان تركيبا واحدا بمنزلة كلمة واحدة .

ثانيا ـ بناء الاسم على ما الزائدة على الفتح :

قال الفارسي : « اعلم أن أبا عثمان يذهب في قوله تعالى : (انه لحق مثلما انكم تنطقون) ان (ما) ضمت الى (مثل) فبني معها على الفتح كما تبنى الكلمتان اللتان تجعلان شيئا واحدا على الفتح ... »[١٩] وهنا يطرأ على بالنا سؤال هو : لماذا اختير الفتح ؟ . الجواب : يبدو لي انه كان يرى ان الفتحة ـ على الرغم من كونها حركة اعرابية ـ هي الحركة الخفيفة المستحبة ، كما عبر عنها محمد بن المستنير قطرب (٢٠٦هـ) من القدماء والاستاذ العالم ابراهيم مصطفى من المحدثين (رحمهما الله) ولذلك اختيرت لتكون علامة بناء لمثل هذه التراكيب الطويلة ، ليخف بها النطق ويعود هذا للانسجام الموسيقي لطبيعة العربية .

ويستخلص مما تقدم أن الفارسي أولى اهتماما كبيرا لدراسة اللغة من الناحية الصوتية ، واستعان بظواهرها على تعليل الكثير من مشاكلها ، ومن أجل ذلك جاءت دراساته متكاملة لا يطرق ظاهرة الا وهو يحلل وجوهها المعنوية والموسيقية والاعرابية ، وقد تم له ما أراد .

---

(١٩) الشيرازيات ٣٨/١٤٩آ .

المراجـــــع

١ ـ ابن تغري بردي :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ دار الكتب ـ ط ١ ـ مصر ١٣٥٢هـ •

٢ ـ ابن جنى :

ـــ سر صناعة الاعراب ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ ط ١ ـ القاهرة ١٩٥٤م •

ـــ المنصف لشرح تصريف المازني ـ تحقيق ابراهيم مصطفى ، وعبدالله أمين ـ القاهرة •

٣ ـ سيبويه :

الكتاب ـ ط ١ ـ بولاق ـ مصر ١٣١٦هـ •

٤ ـ أبو علي الفارسي :

أ ـ أقسام الاخبار ـ مخطوط ـ معهد المخطوطات ـ نحـو ١٦ ـ القاهرة •

ب ـ المسائل البغداديات ـ مخطوط ـ معهد المخطوطات ـ نحو١٢٥ •

حـ ـ المسائل الحلبيات ـ مخطوط ـ دار الكتب ٥ نحو ش ، ٦٦ •

د ـ المسائل الشيرازيات ـ مخطوط ـ مكتبة راغب ١٣٧٩ ـ تركيا •

هـ ـ المسائل الشيرازيات ـ رسالة دكتوراه ـ علي جابر المنصوري كلية الآداب (جامعة عين شمس) ـ ١٩٧٦م •

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي